القراءة الحسينيّة وأثرها في تغيير واقع الأمّة -قراءة تحليليّة لمواقف الإمام الحسين عليه السلام-

د. الشيخ عبد القادر يوسف ترنّني[1]

خلاصة المقالة:

تتناول هذه المقالة بيان أهمّيّة قراءة مواقف الإمام الحسين عليه السلام من خلال واقعة كربلاء، وأبعاد هذه القراءة الواعية، ووجوب ربط القراءة بواقع الأمّة الإسلاميّة في تاريخها وحاضرها، الذي سادت فيه الأفكار المنغلقة والعصبيّات الهدّامة والانحرافات المتتابعة؛ بفعل ابتعادها عن القرآن العظيم وسنّة نبيّها الكريم صلى الله عليه وآله والعترة الطاهرة من أهل بيته عليهم السلام، وهم الذين نزل بساحتهم من البلاءات ما يعجز اللسان عن ذكره، والعقول عن إدراكه، والبيان عن اللحاق بركابه.

وعلى الرغم من أنّ العنوان يدعونا إلى قراءة مواقف الإمام الحسين عليه السلام في واقعة كربلاء، فإنّ الأكمل لمعارفنا وللحقيقة التي نبحث عنها أنْ نقرأ الإمام الحسين عليه السلام كما يريد هو؛ لأنّ مراده من مراد رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى، وبهذه الكيفيّة نصل إلى مراد الله، لنتّبع أمره اتّباعًا يقينيًّا ليس فيه شطط، ولا لغط، ولا ازدراء، ولا جهل، بل اتّباع عمل، واقتداء بروحيّة الفكر الحسينيّ النقيّ القائم على نصرة الحقّ بكلّ الأثمان؛ مهما كان العدوان قويًّا والمؤامرات كبيرة.

(1) باحث في الفكر الإسلاميّ، من لبنان.

إنّ لقراءة الإمام الحسين عليه السلام أبعادًا وخصوصيّات قائمة على الاعتدال الفكريّ والمنهجيّ البعيد عن المذهبيّات والعصبيّات، فبمقدار أهمّيّة القراءة الحسينية المتجرّدة، نجد دون تحقيقها وتطبيقها مصاعب ومتاعب وعقبات كبيرة تجنح بكثيرين عن مركز القضيّة، وتجعلهم يصدرون أحكامًا متسرِّعة تغالط الواقع، وتجافي المنهجيّة العلميّة في البحث!

كلمات مفتاحيّة:

الإسلام، النصّ الدينيّ، الإمام الحسين، كربلاء، المواقف الحسينيّة، القراءة الحسينيّة، الأمّة الإسلاميّة، التاريخ، الواقع.

مقدّمة:

شكّل الإمام الحسين عليه السلام بفكره وجهاده وفدائيّته حالة إسلاميّة فريدة لم يشهدها الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولقد تجلّت هذه الحالة في أسمى معانيها يوم قدَّم نفسه وخيرة أهل بيته وكلّ أحبابه قربانًا على مذبح الفداء؛ ليرضي الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وليعرف الخلق عظمة هذا الدين الذي جعل الإمام الحسين عليه السلام يضحّي بكلّ شيء من أجل بقائه نبراسًا للأنام.

وقد ظهر مَنْ تكلّم عن هذه الواقعة العظيمة بصورة المروّج للفتنة المذهبيّة، وكأنّ الحديث عن المظلوم وإحياء ذكراه شرّ مستطير!وذلك في تناسي لحقيقة أنّ جدّ الحسين صلى الله عليه وآله المبعوث رحمة للعالمين كان أوّل من أحيا ذكرى الحسين عليه السلام، وبكى عليه، وأخبر عن مقتله واستشهاده قبل واقعة الطف بأكثر من خمسين عامًا. والأعجب من ذلك أنْ يصنع الجهلة من دراسة المأساة وإحيائها بدعة لا تمتّ إلى الإسلام بصلة، كما تروِّج لدعاية جِدُّ خطيرة؛ مفادها: أنّ استشهاد صاحبها لا يؤثّر عندهم على حركة الدين والرسالة!!

وذلك في حين أنّ قراءة مواقف الإمام الحسين عليه السلام قراءة إنسانيّة إسلاميّة نصِّيَّة -بعيدًا عن الصدامات والصراعات والمذهبيّات- تضع القارئ،

الباحث عن الحقيقة والمجرّد عن الهوى والعصبيّات والمذهبيّات، أمام مجموعة من الأسئلة المهمّة؛ منها: هل كان رسول الله ﷺ مبتدعًا يوم أحيا ذِكْر الحسين عليه السلام وذكراه؟! وهل كان نبي الرحمة ﷺ مبتدعًا ومثيرًا للفتنة ساعة أخبر عن أمّته التي قتلت ابنه الحسين عليه السلام؟ وهل كَشْفُ ملفات الحكّام الظالمين والفراعنة المجرمين يُعدّ تجريمًا لمذهب وأتباع مذهب؛ بحيث يستدعي ذلك قتل الأبرياء، وانتهاك حرمة سيّد شباب أهل الجنّة وسبط خير الأنبياء ﷺ؟!!

ومن هذا المنطلق كانت القراءة الحسينيّة في جوهرها قراءة للنصّ القرآنيّ، وفهمًا لأبعاده وقيمه، وتدليلًا على متعلّقاته الشارحة له بصميم السنّة المحمديّة التي حثّت الخلق على اتّباع آل البيت الطاهرين عليهم السلام، وعدم الجنوح إلى غيرهم من الناس الذين قدّمتهم الخلائق ظلمًا وعدوانًا، ولم يقدّمهم الله ولا رسوله ولا كتاب الله المنزل بلسان عربي مبين! وبهذه القراءة الواعية المسؤولة نصل إلى رضوان الله ورسوله ﷺ، ونعي خطورة الإيمان بالإمامة: مقدّماتٍ، ونتائجَ، وواقعًا لا يمكن التغاضي عنه أو التخلّي عن مكانته ضمن المنظومة الإيمانيّة المتكاملة.

أولًا: منطلقات القراءة الواعية للإمام الحسين عليه السلام من خلال واقعة كربلاء؟

عندما نقرأ الإمام الحسين عليه السلام، يجب أن لا نختصر القراءة بالدمع والبكاء والحزن على مصابه الأليم؛ فالإمام الحسين عليه السلام مدرسة في كلّ الحيثيّات العلميّة، والفكريّة، والجهاديّة، والثوريّة، والدعويّة...التي كانت الأمّة والإنسانيّة بأمسّ الحاجة إليها،وما زالت تحتاجها في حاضرها ومستقبلها.

وهذه القراءة هي التي ارتضاها لنا جدّ الحسين ﷺ؛ وذلك في كلمته

المشهورة: «**حسين منّي وأنا من حسين**»[1]، ولعلّ هذه البعضيّة والجزئيّة «من حسين» لهي أكبر دليل وأهمّ إشارة ترشد إلى طبيعة هذه البعضيّة والجزئيّة التي لا تنفكّ عن رسول الله ﷺ، ولا ينفكّ رسول الله ﷺ عنها بحالٍ من الأحوال، حتّى إنّها لتتلازم والنبوّة؛ بوصفها استمدادًا من معين نورها وهديها، واستكمالًا لمشروعها الإلهيّ، بما تمثّله من ترابط وثيق بين الأرض والسماء، تلازمًا لا يمكن التغاضي عنه؛ لأنّ التغاضي عنه سيكون تغاضيًا عن النبي ﷺ والوحي المنزَل عليه، بل تغاضيًا عن أمر الله -تعالى- وكتابه الكريم: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ...﴾[2].

ثمّ يجب أنْ نعلم قبل كلّ شيء، وقبل أيّ خلاف على هذه القراءة، أنّ رسول الله ﷺ هو أوّل من علّمنا أنْ نقرأ الحسين الشهيد عليه السلام يوم جاءه الملك وأخبره أنّ أمّته -أمّة الدعوة طبعًا، لا أمّة الإجابة- قاتلة ابن ابنته؛ إذ جاء عن أبي الطفيل، قال: «استأذن ملك القطر أنْ يسلّم على النبي ﷺ في بيت أمّ سلمة، فقال: «لا يدخل علينا أحد»؛ فجاء الحسين بن علي عليهما السلام، فدخل، فقالت أم سلمة: «هو الحسين». فقال النبي ﷺ: «**دعيه**»، فجعل يعلو رقبة النبي ﷺ، ويعبث به، والملك ينظر. فقال الملك: «أتحبّه يا محمد». قال: «**إي والله إنّي لأحبّه**». قال: «**أما إنّ أمّتك ستقتله، وإنْ شئت أريتك المكان**». فقال بيده، فتناول كفًّا من تراب، فأخذت أمّ سلمة التراب، فصرّته في خمارها، فكانوا يرون أنّ ذلك التراب من كربلاء»[3].

وفي رواية عائشة أنّ الذي أتاه هو جبريل؛ إذ تقول: «دخل الحسين بن علي عليهما السلام على رسول الله ﷺ وهو يُوحَى إليه، فنزل على رسول الله ﷺ وهو منكبٌّ، وهو على ظهره. فقال جبريل لرسول الله ﷺ: أتحبّه يا محمّد؟ قال: يا جبريل وما لي لا أحبّ ابني؟ قال: فإنّ أمّتك ستقتله من بعدك؛ فمدّ

---

(1) النيسابوري أبو عبد الله (الحاكم): المستدرك على الصحيحين للحاكم، ط1، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1411هـ/1990م،ج3، ح4820، ص194.

(2) سورة البقرة، الآية 85.

(3) الهيثمي، أبو الحسن نور الدين: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، القاهرة، مكتبة القدسي، 1414هـ.ق/1994م)، ج4، ص177. وقال الهيثمي:»رواه الطبراني وإسناده حسن».

جبريل عليه السلام يده، فأتاه بتربة بيضاء، فقال: في هذه الأرض يقتل ابنك هذا، واسمها الطفّ. فلمّا ذهب جبريل عليه السلام من عند رسول الله صلى الله عليه وآله، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله والتزمه في يده يبكي؛ فقال: **يا عائشة إنّ جبريل أخبرني أنّ ابني حسين مقتول في أرض الطفّ، وأنّ أمّتي ستُفتن بعدي**، ثمّ خرج إلى أصحابه، فيهم علي عليه السلام، وأبو بكر، وعمر، وحذيفة، وعمّار، وأبو ذر رضي الله عنهم؛ وهو يبكي. فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: **أخبرني جبريل عليه السلام أنّ ابني الحسين يُقتَل بعدي بأرض الطفّ، وجاءني بهذه التربة، وأخبرني أنّ فيها مضجعه**»[1].

إنّ هذا التركيز على الإمام الحسين عليه السلام، من قِبَل وحي السماء وملائكة الله العظام، منذ الطفولة الحسينيّة، يحملنا على تتبّع أهمّ الدروس والقراءات التي يجب الاضطلاع بها للتعرّف إلى حقيقة الإمام الحسين عليه السلام والمهمّة القيِّمة التي أعدّتها له السماء،فالرسالة التي حملتها الملائكة للنبي الكريم صلى الله عليه وآله تبشِّر بأنَّ للإمام الحسين عليه السلام قيمةً إسلاميّة، نبويّة، محمّديّة، قرآنيّة، جهاديّة، بنائيّة، تربويّة،وثوريّة، تكون لها الريادة في أحلك الأوقات والظروف؛ وذلك بعد أنْ يستقرّ عنده علم النبوّة والإمامة، ويصبح هو الوحيد المخوّل بالدفاع عن هذا الإرث العظيم، وليس في هذه القراءة إغضاء من قيمة الرسول صلى الله عليه وآله والرسالة، ولا من قيمة أبيه الكرار عليه السلام الذي جاهد جهاد رسول الله صلى الله عليه وآله الأوّل؛ ولا من قيمة أخيه الحسن عليه السلام الذي علَّم الناس كيف يتركون صنميّة المناصب ويضعونها تحت الأقدام، ثمّ بيّن لهم الوظيفة العظمى من الخلق والوجود، القائمة على التضحية بحذافير الدنيا؛ بغية تعريف الناس بالرسالة وطبيعتها وحامليها إلى قيام الساعة؛

(1) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، م.س.، ج4، ص175. وقال: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار كثير، وفي إسناد الكبير ابن لهيعة وفي إسناد الأوسط من لم أعرفه». والواقع أنّ هذه الرواية، وإنْ كانت ضعيفة عند المحدّثين؛ إلا أنّها بمعنى الرواية السابقة، والفارق ما بينها وبين سابقتها هو أنّها لم تحدّد أين كان النبي صلى الله عليه وآله، فالنبي قد خرج على أصحابه، والمعنى واحد، والزيادة في هذه الرواية أنّه خرج على أصحابه وفيهم أبو بكر وعمر وحذيفة وغيرهم، لا بل إنّ في تكرار الرواية دليلًا على تكرار الحادثة أكثر من مرّة، والله أعلم.

والجدير بالذكر أنّ الإمام الحسن عليه السلام قام بهذه المهمّة الشائكة بعد أنْ نسي الناس حقيقة آل البيت عليهم السلام ودورهم الإلهيّ في خلافة النبي صلى الله عليه وآله وتحكيم العدالة الإلهيّة في الأرض؛ وهكذا كانت تضحياته شقًّا لطريق الأئمّة الطاهرين عليهم السلام من بعده، وتثبيتًا لمفهوم الإمامة والخلافة، ودعوة إلى الإيمان بهذا الدور الذي نصّ عليه كتاب الله المنزَل.

لقد ورث الحسين عليه السلام إرثًا عظيمًا وحمل الأمانة الكبرى، وكان من الصعوبة في مكان أن يتخلّى عن أيّ موقع إيمانيّ ثوريّ قياديّ جهاديّ من شأنه أنْ يعرِّف الناس على رسالة السماء التي عملت الحكومات المتعاقبة على تشويه صورتها وإلغائها من قاموس الأمّة الإسلاميّة.

ثمّ إنّ إرث النبي المختار صلى الله عليه وآله وفاطمة الزهراء وعلي الكرار والحسن المجتبى عليهم السلام؛ وبسبب كلّ الكمالات التي تجلّت في الإمام الحسين عليه السلام وانعكست في شخصيّته العظيمة، قدَّر الله -تعالى-أنْ يكون الأئمّة عليهم السلام بعده من نسله، يحملون المسؤوليّة التي عهد بها إليهم وحي السماء، مع التأكيد على التقاء النسبين الشريفين اللذين يخرج من طهارتهما الإمام الثاني عشر، آخر الأئمّة ومهدي آخر الزمان عجل الله فرجه الذي يملأ الأرض عدالةً، بعد أنْ يملأها الناس ظلمًا وجورًا...

ومن هذا المنطلق، فإنّنا ننظر إلى مقتل الحسين عليه السلام واستشهاده المبارك على أنّه استهداف لكلّ الكمالات والقيم الإسلاميّة التي جاء بها نبي الإسلام صلى الله عليه وآله، ثمّ عمل الحسين عليه السلام على إحيائها بعد أنْ سبقه إلى ذلك والده الإمام علي عليه السلام، من خلال مواجهة القوى المنحرفة التي استحوذت على البلاد والعباد؛ تظلم الناس، وتعتدي على حرماتهم باسم الدين والإسلام.

لقد عمل الإمام الحسين عليه السلام على إحياء القيم المحمّديّة بعد أنْ عمد أخوه الإمام الحسن عليه السلام قبله على اختيار طريق جديد في المواجهة تمثَّل في: ترك السلطة، والتفرّغ للعلم، وتعريف الناس بمكانة آل

البيت عليهم السلام حاملي الشريعة ووارثي علوم الشريعة، وتوجيه الخلق إلى الإمام الحسين عليه السلام بعده لينصروه في المواجهة الكبرى مع قوى الشرّ والاستكبار.

ولهذا ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «**رحم الله عبدًا أحيا أمرنا**. فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟ قال: **يتعلّم علومنا، ويعلّمها الناس، فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا**»[1].

ومن هنا، ندرك أبعاد القراءة الحسينيّة الصحيحة التي لا تقف عند حدود زمنيّة عاشوراء، ولا مكانيّة الطفّ في كربلاء؛ لتكون قراءة لطبيعة الحياة والصراع القائم بين الخير والشر، وبين الإيمان والكفر، وبين الإنسان الإلهيّ والإنسان الشيطانيّ الذي باع الإنسانيّة وانضبط بتجارة الدين والأعراض والأخلاق والقيم الإسلاميّة التي كان الحسين عليه السلام خير ممثِّل لها وخير داعٍ إليها، بل كان الوارث الشرعيّ المكلَّف بالدفاع عنها في كلّ ميدان.

يجب أن تكون القراءة الحسينيّة قراءة علميّة واعية، بل تثقيفيّة مُجدَّة تبحث في عمق أعماق الخيارات الحسينيّة؛ لتكون الأنموذج الذي يحتذى، والمثال المتّبع؛ التزامًا بالأصل النبويّ الأصيل الذي جاء فيه: «فعليكم بسنّتي، وسنّة الخلفاء الراشدين المهديّين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ...»[2].

ولولا أنّ القضيّة قضيّة هداية ورشاد لما سلّط النبي الأعظم صلى الله عليه وآله الضوء على أهمّ الصفات المميّزة لخلفائه ووزرّاثـه الذين يخلفونه، فيكونون راشدين ومهديّين من سلالة طاهرة مطهّرة؛ كما ورد في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3]، وقد جاء هذا التأكيد على هذه الصفات بالذات ليعلم مَنْ غفل عن الحقّ

(1) عطاردي، عزيز الله: مسند الإمام الرضا عليه السلام، ط1، مشهد، مؤسّسة طبع ونشر آستان قدس رضوي، 1406هـ.ق.، ج1،ص196.

(2) ابن حنبل، أحمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط1، القاهرة، مؤسّسة الرسالة، 2001 م، ج28، ح17142،ص367.

(3) سورة الأحزاب، الآية 33.

واتّبع غيره أنّ المهديّة لا تكون في غير هذه السلالة الطاهرة، فخلفاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم هم أوصياؤه وورّاث علمه، وجميعهم مهديّون من أوّلهم إلى آخرهم، وخاتمهم اشتهر بصفة المهديّة أكثر من أيّ صفة أخرى؛ لأنّه يمثّل ختام هذا المنهج العظيم القائم على أسمى معاني الحقّ والإيمان التي ورثها عن آبائه الراشدين قبله عليهم السلام.

وإذا كان الميزان هو الرشاد والهداية، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام قد دفع كلّ ما ملَّكه الله -تعالى-إيَّاه؛ من أجل الحفاظ على هذا المنهاج المحمّديّ النقيّ الطاهر الصافي، ثمّ حمَّله عليه السلام أبناءَه من بعده؛ ليقوموا به على طريقته وسنّته خير قيام، يضحّون بالدم والذرّيّة والدنيا بحذافيرها، ولا يتخلّون عن ذرّة من ذرّات هذا المنهاج النبويّ الغالي؛ مهما تعاظمت المخاطر، وتفاقمت النكبات، وتكالب أهل العداوات.

ومن خلال هذه القراءة العلميّة التي تخرِّج أجيالًا يحملون الفكر والثقافة وروحيّة الأخلاق والتضحيات من أجل العقيدة، نتعرّف إلى شذرات عن الحقائق الحسينيّة التي ربّما لا يستطيع القلم التعبير عنها، ولا يمكن خطّها بالمداد، لكنّ تلك القيمة العظيمة للإمام الحسين عليه السلام هي التي تتجلّى في رحاب تلكم النفوس التي تشبّعت حبًّا وولاءً واقتداءً بالمنهج الذي حمله الإمام الحسين عليه السلام،ولم يتخلَّ عنه إلى آخر قطرة من دمه، وإلى آخر لحظة من عمره الشريف المشرِّف.

ثانيًا: ضوابط القراءة الحسينيّة:

لعلّ الصورة الأولى التي تعبّر عن صحّة قراءتنا الحسينيّة تنبع من معين محبّتنا للحسين عليه السلام، هذه المحبّة التي وجّه إليها كتاب الله -تعالى-: ﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾[1]، وهي محبّة سمع وطاعة واتّباع واقتداء: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ

(1) سورة الشورى، الآية 23.

رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

وقد أكّد النبي الأعظم ﷺ على هذا المعنى؛ فقال للناس: «**أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِه، وَأَحِبُّوني لِحُبِّ الله، وأَحِبُّوا أَهْلَ بيتي لِحُبِّي**»[2].

فمن مضامين هذا الحديث الشريف نتعلّم أنّ محبّة الله-تعالى- تعني اتّباع أوامره ظاهرًا وباطنًا، بل تعني محبّةَ مَنْ أنزل النعم ووهبنا إيّاها، وتجلّت علينا بركاته؛ أمَّا محبّة النبي ﷺ فهي محبّة اتّباع لأمر الله -تعالى- الذي أمر الله بمحبّته وطاعته والاستجابة له؛ وهي في الوقت عينه محبّة لمن بعث النبي ﷺ وأرسله... إنّها محبّة اتّباع لأطهر الخلق؛ واتّباعُه يعني اتّباع أطهر مَن فضَّل الله -تعالى-على العالمين، ومحبّة آل النبي عليهم السلام هي محبّة اتّباع لذرّيّة أطهر الخلق، واتّباعهم موصول باتّباع النبي الكريم ﷺ؛ فما من مؤمن إلا وهو يحبّ الله -تعالى-ورسوله ﷺ وآل البيت المطهّرين عليهم السلام محبّة ملؤها التسليم والطاعة؛ ولذلك أوضح القرآن الكريم طبيعة هذا التطهير الذي حُظِيَ به آل بيت النبوّة عليهم السلام، والذي خوّلهم به الله -تعالى-ليكونوا القدوة وأصحاب الإمامة الموصولة بإمامة محمّد رسول الله ﷺ للناس، كما إنّ محبّتهم تعني محبّة الاتّباع الذي يجب أنْ يكون موصولًا بمحبّة رسول الله ﷺ المرسَل واتّباعه. وفي هذا المعنى يُظهِر الحقّ-تعالى-في كتابه عظيم قدر هذه الذرّيّة النبويّة المحمّدية المطهّرة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3]؛ فبهذه الكلمات المختصرة أظهر حقيقة التطهير، كما أظهر إمامتهم التي لا تنقطع إلى قيام الساعة، وهذا ما نستجليه ونفهمه فهمًا يقينيًّا ناصعًا واضحًا وضوح الشمس من الفعل المضارع المتكرّر الذي يدلّ على الحال والاستمرار؛ فقوله: «**يريد، يذهب، يطهرّكم**» دليل على أنّ اصطفاء الله

(1) سورة آل عمران، الآيتان 31و32.

(2) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، م.س.، ح4699. وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي».

(3) سورة الأحزاب، الآية 33.

-تعالى- لهذه الذرّيّة سيكون موصولاً بلا انقطاع، وأنّ الإرث المحمّدي الذي لنْ ينقطع سيكون في هذه الذرّيّة المصطفاة، ولذلك أخبر الله -تعالى- عن هذا الاصطفاء الأزلي في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٣ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، والرسول الأكرم ﷺ وذرّيّته المطهّرون عليهم السلام معنيّون بالآية، بل هم أوّل المقصودين بها؛ لأنّهم من محمد رسول الله ﷺ الذي من أجله خلق الله البرايا، ولآدم عليه السلام سجد ملائكة الله أجمعين تعظيمًا لمحمد رسول الله رحمة الله للعالمين، وإذا كان الله -تعالى-قد فضّل آدم ونوحًا عليهما السلام؛ فإنّما فضّلهما لأجل محمّد ﷺ، وإذا كان الله قد فضّل آل إبراهيم وآل عمران، أفليس من الجور تهميشُ العلماء آلَ بيتِ النبوّة بحجّة عدم ذِكْرهم صراحة في كتاب الله-تعالى-؟ وهم الذين يدخلون في آل إبراهيم دخولًا لا غبار عليه، كما يدخلون فيما دخل فيه محمّد رسول الله ﷺ؛ بدليل قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2]، وقد جاء في تفسير هذه الآية أنّ النبي ﷺ:«خَرَجَ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ، فجاء الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ (وهو في بيت أم سلمة؛ كما صرّحت بذلك الروايات الأخرى) فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾»[3].

فهذا هو المقام العظيم الذي أولاهم الله -تعالى- إيّاه، حيث أذهب عنهم الرجس الذي أذهبه عن نبيّه الكريم ﷺ، فلا شكّ ولا ريب يداخل قلوبهم، لأنّها طاهرة نقيّة كقلب نبيّهم الطاهر المطهّر، ولذلك أظهر الحبيب الأعظم مكانتهم عند ربّ الكون يوم القيامة، فقال لفاطمة عليها السلام: «**إنّي وإيّاك وهذا النائم [يعني عليًّا] وهما [يعني الحسن والحسين]لفي**

(1) سورة آل عمران، الآيتان 33 و34.
(2) سورة الأحزاب، الآية 33.
(3) النيسابوري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ح4450.

مكان واحد يوم القيامة»[1].

ولكي تقرأ الأمّة بعده ﷺ الإسلام قراءة صحيحة، فقد أولى الإمام الحسين عليه السلام مكانةً عظمى، شعارها إيمان ويقين بالرابط الفاعل بين الحسين عليه السلام وجدّه ﷺ إلى قيام الساعة، وعُمقُها المحبّة المميّزة التي تفوق كلّ محبّة لابن، أو أب، أو أمٍّ، أو أخ، وأبعادُها الاقتداء واقتفاء الأثر وحسن الاتّباع؛ ثمّبعد أنْ أولى قراءة الإمام الحسين عليه السلام هذا الاهتمام الكبير، عمل على تثبيت هذه القراءة في عقول الناس عمليًّا عبر جملة من الأقوال والأعمال والتوجيهات والرسائل التي بثّها في الناس، والتي وجَّه من خلالها الأمّة إلى أنَّ كلّ معاني الحبّ لله -تعالى- ولرسوله ﷺ لا يكون بغير التزام طريق النبي ﷺ عن محبّة لصاحب الرسالة ولوُرَّاثه الكمّلين؛ وذلك باتّباع سننهم الشريفة وحكمهم العظيمة، وفي ذلك يقول ﷺ: «**حُسَيْنٌ مِنِّي، وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا، حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الْأَسْبَاطِ**»[2]، وإذا كان الحسين عليه السلام هو منطلق الرسالة؛ فلأنّه المفصل الأهمّ الذي عملت قوى الظلم على كسره؛ ليتمّ لها استئصال الذرّيّة الطاهرة عن سابق إصرار وتصميم، ولأنّ الحسين عليه السلام سيكون صلة الوصل بين مراحل الإمامة السابقة والتالية له.

ثالثًا: تقويم القراءة الحسينيّة عبر علاقة الإصغاء إلى الحسين عليه السلام بالعبوديّة لله -تعالى-:

إنّ كلّ عاقل يحكم بأنّ أمّة الإسلام متى أحيت أمر الحسين عليه السلام أحيت بذلك أمر جدّه رسول الله ﷺ، ومتى أحيت فكر الحسين عليه السلام أحيت فكر جدّه ﷺ، ومتى قرأت الحسين عليه السلام قرأت الوحي والرسول ﷺ والرسالة متجسّدة على الأرض بصورة غاية في الروعة؛ صورة لنْ تشهد

(1) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، م.س.، ح4647. وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي».
(2) م.ن.، ج3، ح4820، ص194. وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وصحّحه الذهبي».

العين مثلها، ومتى أصغت إلى الحسين عليه السلام أصغت بذلك إلى جدّه صلى الله عليه وآله وسلم لتسمع أكمل ما يمكن أنْ تستمع إليه أُذن من كلام الله-تعالى- والحكمة البالغة؛ وذلك كلّه تصديقٌ وعملٌ بما جاء في الروايات أنَّ «**مَنْ أصغى إلى ناطق فقد عبده؛ فإنْ كان الناطق عن الله -عزّ وجلّ- فقد عبد الله، وإنْ كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس**»[1]؛ وهذا يعني أنّ الإصغاء إلى نداء الإمام الحسين عليه السلام هو عينه الإصغاء إلى أمر الله تعالى، خصوصًا وأنّ الإمام عليه السلام هو المقدَّم والمعصوم والمتبوع بأمر الله تعالى، ولئنْ كان نصرُه نصرًا لله تعالى؛ فإنّ خذلانه خذلان لدين الله تعالى. وعليه؛ فإنّ وقوف الإمام الحسين عليه السلام بين الأفرقاء الذين خذلوه والذين قتلوه، وحديثه إليهم، ما هو إلا حديث الحجّة وإقامة للحجّة والبرهان؛ فمن أصغى واتّبع؛ فقد أصغى لأمر الله -تعالى- على لسان وصي رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد جعل الحسين عليه السلام حجّة له لا عليه، ودليلًا وشفيعًا، لا متبرّئًا ولا شاكيًا عليه.

أمّا من سمع، لكنه لم يُعِرِ النداء أهمّيّة، ثمّ عكف على دنياه وشهواته وتجاراته وأمواله، وخاف على نفسه وعياله، وقدَّم المال والدنيا الفانية على بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسبطه وخليفته المبارك المفدّى عليه السلام، فقد أهمل نداء الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وبالتالي لنْ يكون الإمام الحسين إلا حجّة عليه وعلى ظلمه وخذلانه وكذبه ونفاقه؛ إذ نصر الحقّ كلامًا، وحاربه عملًا!

ومن هنا، ينبغي التركيز على الإصغاء إلى الإمام الحسين عليه السلام؛ دربًا وعملًا وجهادًا ومنهاجًا وتضحيةً وفكرًا... فأنْ أرفع شعار الحسين يعني أنّني أرفع راية من رايات الله تعالى، كما يدلّ على أنّني أرفع شعار الحبّ والولاء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وليس لمذهب أو طريقة أو رجل عادي من الناس... فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي دعا لكلّ من يحب الحسين عليه السلام، ويرفع راياته، وينهج سبيله، ويقتفي أثره؛ كما مرّ في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:«...أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ

(1) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، ط1، طهران، مؤسّسة الطور للنشر، 1411هـ.ق، ج2، ص94.

حُسَيْنًا»[1]، كما أوضح طبيعة هذه المحبّة المتّصلة بمحبّة الله -تعالى- المعبود القائل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، فقال ﷺ: «**الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة**». وفي رواية أخرى: «**من أحبّهما أحببته، ومن أحببته أحبّه الله، ومن أحبّه الله أدخله جنّات النعيم؛ ومن أبغضهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله جهنّم وله عذاب مقيم**»[3]. وهل معنى الحبّ في هذا المقام إلا الالتزام بالمنهج والثبات عليه وقراءته؛ وفق كتاب الله تعالى؟!

ومن هذا المنطلق، نجد لزامًا علينا فهم حقيقة الإصغاء إلى الإمام الحسين عليه السلام، هذا الإصغاء الذي لا تقيّده الأزمنة، ولا تحجر عليه الأمكنة، فلا يكون حبيس الموقع والواقعة؛ بل يعبر كلّ محطّات الحياة التي عاشتها الأمّة قبلنا، والتي نحياها نحن اليوم، والتي ستعيشها أمّتنا إلى أنْ يرث الله -تعالى- الأرض ومن عليها. وكلّما كان الإصغاء صحيحًا، يعتمد على آذان القلوب واستشعار الأرواح وطهارة النفوس؛ حلّق العبد مع صوت الحسين عليه السلام وندائه، وعاين المشاهد، وكتب الله -تعالى- له المشاركة والجهاد عملًا، لا كلامًا، وتجلّت معاني كلمات: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[4]؛ مَعِيَّةً وفوزًا عظيمًا يأنف العبد أمامها ترداد العبارات من غير عمل، ويرفض ترديد الكلمات من غير فهم لأبعادها؛ لأنّ الحبّ ملأ قلبه بأسمى معاني الهيبة والوجل.

لكنّ الطريق الذي يصل بالعبد إلى هذه المحصّلة هو طريق العمل

(1) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين،م.س.،ج3، ح4820،ص194. وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَاد وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ وصححه الذهبي».

(2) سورة آل عمران، الآية 31.

(3) ابن حنبل، مسند أحمد، م.س.،ج17، ح1099، ص31)؛ وغيره بسند صحيح، والزيادة أخرجها الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، وقال: «رواه الطبراني وفيه يحيى بن عبد الحميد الحماني وهو ضعيف» (انظر: ج4،ص171، بترقيم الشاملة آليًّا)؛ وللحديث طرق كثيرة يبلغ بها حدّ التواتر، والله أعلم.

(4) سورة النساء، الآية 73.

الذي يثبت عليه الإنسان بإيمان ويقين لا يتزعزع ولا يتغيّر، فإذا قرأ المؤمن نداء الحسين عليه السلام: «**ألا من ناصر ينصرني**»[1] عاينه معاينة الوقت والساعة الموصولة بالواقعة، ملبّيًا، ناصرًا، مجاهدًا جهاد النفس والكلمة والأمر بالحقّ والنهي عن الباطل، وبذلك يعيش الحدث بكلّيّته، فيرى الحقائق، ويعاين بعين قلبه المآسي، وتكون الكُربات التي يشهدها وقودًا مشتعلًا يحمله على المعرفة الحقيقيّة بالإمام الحسين عليه السلام، والإيمان بأنّ ما ينطق به ما هو إلا من عند الله تعالى، وما على العبد إلا أنْ يصغي إليه ويوليه كلّ اهتمامه؛ ومن ثمّ يدفع به نحو العمل بمقتضى النداء كلّما دعا داعي الحقّ للدفاع عن المواقف الحسينيّة التي تتجلّى في كلّ زمان ومكان دفاعًا عن الحقّ وتأييدًا له، ومواجهة للباطل واستئصالًا لوجوده، ونصرةً للمظلومين والمستضعفين القلائل الذين يحملون ألوية العدالة إحقاقًا للحقّ المحارب، مهما كانت قوى الشرّ المجتمعة قويّة ومتسلّطة، تمتلك زمام الأمور والقرار، ثمّ تظلم الناس وتعتدي وتبطش وتقتل في سبيل الوصول إلى غاياتها ومآربها.

رابعًا: قراءة الإمام الحسين عليه السلام قراءة لكتاب الله تعالى:

إذا كان المنطلق كتاب الله -تعالى-والأحاديث النبويّة الشريفة التي شرحت وتوسّعت، فإنّ علينا -متى أردنا قراءة الحسين عليه السلام- أنْ نلتزم كتاب الله -تعالى- وسنّة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله التي جسّدها الأئمّة عليهم السلام من بعده، واقتفى أثرها أصحاب النبي صلى الله عليه وآله المخلصون الذين صدقوا في الحبّ والولاء، وساروا على الطريق، فلم ينحرفوا قدر شعرة...، لذا، فإنّ من الغباء أنْ نقرأ الحسين عليه السلام وفاقًا لأهوائنا وموروثاتنا ورغباتنا، أو للسياسات المتغيّرة التي تفرض علينا مرّة بأنْ نغالي بالحسين عليه السلام ونعرضهُ عرضًا بعيدًا عن المنهج والفكر، ومرّة بأنْ ننسف الحسين عليه السلام من فكرنا وتراثنا

(1) محدّثي، جواد: موسوعة عاشوراء، دار الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، 1997م،ص292.

وضمائرنا والتزامنا وقرآننا وسنّة نبيّنا ﷺ...

إنّما العقل المؤمن يقضي بأنْ نقرأ الحسين عليه السلام؛ انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾[1]، ومتى قرأنا الحسين عليه السلام الذي جسّد القرآن والرسالة والرسول على الأرض قراءة تخطُّ طبيعة المذاهب التي تلتقي على الكتاب المُنزَل وسنّة النبي المُرسَل عليه السلام، عندها ستكون القراءة نبراسًا لهذه المذهبيّات لا ظلمة ولا ظلاميّة فيها، وستكون القراءة وحدة لا تفرّق بسببها، وعقيدة واحدة في جوهرها وأصولها، وفقهًا واحدًا في نتائجه...؛ ومتى قرأنا الحسين عليه السلام بعيدًا عن القراءات المذهبيّة -التي أسّس لها قتلة الحسين عليه السلام- تلك القراءات التي أرادت تشويه صورة الحسين عليه السلام ورسالته، والتأسيس لمذاهب متناحرة على أسس تلبس لبوس الإسلام، وتُبعد الأمّة عن قبلة الدعوة الحسينيّة ومبادئها وأهدافها ومرتكزاتها... قرأنا الرسالة؛ ومتى قرأنا الحسين عليه السلام قراءة متجرّدة عن العصبيّات والمذهبيّات... قرأنا الكتاب منهاجًا وتطبيقًا وأهدافًا.

خامسًا: كيف قرأ النواصبُ الإمامَ الحسين عليه السلام؟

إذا أردنا أنْ نقرأ الحسين عليه السلام بناءً على ما وضعه أئمّة النواصب من تحريفات وأكاذيب وقواعد تلغي مكانة الحسين عليه السلام وجدّه ﷺ، متجلببةً بجلباب السنّة النبويّة المطهّرة واتّباع السنّة... خرجنا بمعادلة يكون الحسين عليه السلام على أساسها ذلك الخارج على سلطة الحاكم الشرعيّ!

إنّها قراءة الحاكم الشرعيّ الذي قام ملكه عندهم على المحرّمات، والعكوفِ على الموبقات، واستباحة الدماء... كلّ ذلك باسم الإسلام ونبي الإسلام جدّ الحسين عليهم الصلاة والسلام... وهكذا يصبح الإمام الحسين -وفق هذه القراءة-دخيلًا على الدين، يستحقّ التأديب، بل القتل بسيف جدّه ﷺ، وسيف شريعة جدّه وكتاب جده ﷺ؛ وبذلك يكون المنحرف

(1) سورة العلق، الآية 1.

العاتي والسكّير الخمّير قد التزم به، في حين أنّ الحسين ابن الرسول ﷺ والرسالة لم يلتزم به...! ويستدلّون على ذلك بأحاديث تقضي أنّه «إذا بُويع لخليفتين، فاقتلوا الآخر منهما»[1]، ثمّ يستدلّون بهذه النصوص على وجوب قتل الآخر؛ ولو كان الحسين عليه السلام أو آل البيت المطهّرين المتبوعين المعصومين عليهم السلام الذين أمر الله -تعالى-بمودّتهم مودّة محبّة واتّباع والتزام.

والعجيب أنّهم يستدلّون هذه الاستدلالات الباطلة؛ وهم أكثر الناس معرفةً بأنّ هذا الحديث قد ورد في حقّ معاوية الذي نافس عليًّا عليه السلام الخلافة؛ بهدف استرجاع مُلْك أبيه. والحديث عند ذوي البصائر ولا ينطبق في حالٍ من الأحوال على الحسين بضعةِ النبي الطاهر ﷺ، أعلمِ الناس بهدي الله -تعالى-ورسوله ﷺ وأكثرِهم التزامًا وأكملِهم تطبيقًا.

وبناءً على ما سبق، فإنّ هذه القراءة تنظر إلى منْ يقرأ الحسين، ويرفع شعار الحسين، ويحيي أيّامه ومنهاجه وفكره... تنظر إليه نظرة المرتدّ، وتحكم عليه بالمروق والخروج عن الدين، وتجعله رافضيًا زنديقًا كافرًا... إلى ما هنالك من مفردات وحقول معجميّة للكفر والشذوذ الفكريّ والعقديّ...! طبعًا سواء أكان هذا الذي يحيي الحسين سنيًا أم شيعيًا بالمصطلح الشائع.

ولذا؛ نرى أنّ أصحاب هذه القراءة قصدوا الطعن بالحسين عليه السلام وبجدّه ﷺ وبأهداف هذه الرسالة التي حملها نيابة عن جدّه الأكرم ﷺ.

سادسًا: كيف قرأ الغلاة الإمام الحسين عليه السلام؟

وإذا انتقلنا إلى المقلب الثاني، وأردنا بالتالي أنْ نقرأ الإمام الحسين عليه السلام بناءً على ما سطّره الأدب الشعبيّ، ودوائر الاستخبارات التي كان لها طوابير من المفكّرين الذين يتجلببون بجلباب الولاء لآل البيت، فيندسّون في صفوف أحبابهم، ويضعون الروايات الكاذبة؛ ليعمّقوا

(1) النيسابوري، صحيح مسلم، م.س.، ح1853.

الخلافات بين المسلمين، وإذا وضعنا في حسباننا ردّات الفعل التي ستنتج عن عمليّات الاضطهاد المتتالية؛ لوجدنا أنّ فكر الغلاة يَعتبر كلّ من انتسب إلى المذهب المخالف -ولاسيّما السنّيّ- هو ممّن قتل الحسين، أو ممّن قَبِلَ بقتله وشدّ على يدي القاتل، ورغَّب فيه بالحدّ الأدنى... كما يعتبر أنّ المنتسبين لهذا الخطّ لا يقيمون وزنًا لآل بيت النبوّة، ولا يعظّمونهم، ولا يأبهون لمجزرة الحسين وواقعة الطفّ الأليمة، ولا يرون لخروج الحسين مبرّرًا، ولا لجهاده عنوانًا غير الخطأ... كما يعتقدون أنّ أهل المخالفين جميعهم ينتسبون إلى خطّ النواصب القتلة الظلمة، وهم أبناء القتلة الظلمة...!

ولا يغيب عن أذهاننا أنّ عرض هذه الواقعة الأليمة -في معظم الأحيان- بات لا يوجِّه الأنظار إلى الفكر والتضحيات، ويكتفي بتوجيه الأنظار إلى المخالفين الذين يشعر الكثير منهم بالحاجة وبالمحبّة العارمة لأنْ يتعرفوا على الإمام الحسين عليه السلام عن قرب؛ لكنّ المانع الكبير كان، ولا يزال، ذلك الخطاب الذي حجَّم القضيّة، وحصرها في إطار محدَّد، بدلًا من أنْ يعمّمها ليعرف الناس، كلّ الناس، الإمام الحسين عليه السلام، ولتقرأ الأمّة برمّتها الإمام الحسين عليه السلام...؛ وهذا الصنيع بحدّ ذاته لا ينسجم مع دور الإمام الحسين عليه السلام الذي جهد في أنْ يوصل صوته للمخالفين بكلّ وسيلة وبأيّ ثمن، ولقد كانت واقعة الطفّ خير دليل على ذلك.

ومن هنا، ينبغي على العلماء والمفكّرين أنْ يبحثوا بجدّيّة عمّا تفتقده الأمّة اليوم من الخطابات الإسلاميّة العلميّة-العمليّة الحضاريّة التي كان الإمام الحسين عليه السلام رائدها، لا بل إنّه استُشهد في سبيل إيصال الفكر الإسلاميّ الراقي الذي كانت الأمّة تفتقده منذ أنْ قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولأنّ الغلوّ انتصار لأهداف المجرمين من حيث لا يعلم الناس، أطلق الإمام الصادق عليه السلام خطابه الذي أثبت فيه أنّ كلّ من استمع إلى أصحاب الغلوّ في الخطاب الدينيّ؛ فقد خرج من الإيمان، وفي ذلك يقول: «**أدنى**

ما يخرج به الرجل من الإيمان أنْ يجلس إلى غال، ويستمع إلى حديثه، ويصدّقه على قوله، إنّ أبي حدثني عن أبيه عن جدّه عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: صنفان من أمّتي لا نصيب لهما في الإسلام: الغلاة والقدريّة»[1].

ولو تأمّل العقلاء معنى أنْ يقرن الإمام عليه السلام الغلاة بالقدريّة الذين ينسبون إلى الله -تعالى- الجهل بالأقدار؛ لتبيّن أنّ الإمام عليه السلام أراد أن يبعث برسالة يتبرّأ فيها من كلّ إنسان يسير خلف من يزوّرون الفكر، ويتاجرون بالقضيّة والحقيقة؛ بغية تمييعها وتغييبها واحتجازها في دائرة ضيّقة بعيدة عن العموميّة والشموليّة، بل بعيدة عن أسماع وأنظار العقلاء والمفكّرين الذين يمكنهم أن يغيّروا وجهة الظلم وواقعه؛ ليوقعوا به وبمخطّطاته، فيفضحوا تآمره، وينقضوا بنيان جرائمه.

ولأنّ الغلاة يدخلون من باب الشباب ويوقعونهم في شَرَكِ التخلّف والعصبيّة المفرطة التي تميت الحقائق، حذّر الإمام الصادق عليه السلام الأمّة من مغبّة إهمال المجتمع، وتركه للحركات الغالية التي تهدم بنيانه؛ قال الإمام الصادق عليه السلام: «**احذروا على شبابكم الغلاة، لا يفسدوهم؛ فإنّ الغلاة شرّ خلق الله، يصغّرون عظمة الله، ويدّعون الربوبيّة لعباد الله؛ والله إنّ الغلاة لشرّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، ثمّ قال: إلينا يرجع الغالي فلا نقبله، وبنا يلحق المقصّر فنقبله. فقيل له:** كيف ذلك يا ابن رسول الله؟ **قال: الغالي قد اعتاد ترك الصلاة والزكاة والصيام والحج، فلا يقدر على ترك عادته وعلى الرجوع إلى طاعة الله عزّ وجلّ أبدًا، وإنّ المقصِّر إذا عرف عمل وأطاع»**[2].

ويحدّد الإمام الرضا عليه السلام الغلاة وأعمالهم وأهدافهم وموقف أئمّة آل البيت الأطهار عليهم السلام منهم، فيقول: «**مَنْ قال بالتشبيه والجبر فهو كافر مشرك، ونحن منه برآء في الدنيا والآخرة، يا ابن خالد إنّما وَضَعَ الأخبار عنّا**

(1) المجلسي، بحار الأنوار،م.س.، ج5، ص8.
(2) م.ن.، ج25، ص259.

في التشبيه والجبر الغلاة الذين صغّروا عظمة الله تعالى، فمن أحبّهم فقد أبغضنا، ومن أبغضهم فقد أحبّنا، ومن والاهم فقد عادانا، ومن عاداهم فقد والانا، ومن وصلهم فقد قطعنا، ومن قطعهم فقد وصلنا، ومن جفاهم فقد برّنا، ومن برّهم فقد جفانا، ومن أكرمهم فقد أهاننا، ومن أهانهم فقد أكرمنا، ومن قبلهم فقد ردّنا، ومن ردّهم فقد قبلنا، ومن أحسن إليهم فقد أساء إلينا، ومن أساء إليهم فقد أحسن إلينا، ومن صدّقهم فقد كذّبنا، ومن كذّبهم فقد صدّقنا، ومن أعطاهم فقد حرمنا، ومن حرمهم فقد أعطانا. يا ابن خالد، من كان من شيعتنا فلا يتّخذنَّ منهم وليًا ولا نصيرًا»[1].

وكما تبرّأ الإمام الرضا عليه السلام من الغلاة، فقد تبرّأ منهم قبل ذلك أمير المؤمنين عليه السلام؛ إذ قال: «**اللهم إني بريء من الغلاة كبراءة عيسى بن مريم من النصارى، اللهم اخذلهم أبدًا، ولا تنصر منهم أحدًا**»[2]؛ وهذا أكبر دليل على أن حركة الغلاة كانت قد تأسّست من قبل أن يتقلّد الإمام علي عليه السلام السلطة، على أن تأسيسها لم يكن وليد الصدفة، وإنما كان بهدف تشويه صورته والتضييق عليه وتحجيمه.

من هذا المنطلق، نعرف أنّ قَتَلة الإمام الحسين عليه السلام ليسوا فقط مَنْ حمل عليه السيف وسلَّطه في وجهه، لا بل إنّ كلّ من عمل على تشويه صورة آل البيت عليهم السلام قد استهدف الإمام الحسين عليه السلام وشارك في عمليّة القتل. وبناءً على ذلك؛ فإنّ الغلاة مشاركون في مقتل الإمام الحسين عليه السلام؛ حيث أرادوا للأمّة تغيير المسيرة والقراءة الحسينيّة، فابتدعوا ما ابتدعوا من تخريفات وعقائد نسبوها للأئمّة عليهم السلام؛ والعجيب في نهاية المطاف أنّ طائفة كبيرة من العلماء والعقلاء وقعوا في الفخّ الذي أراده قَتَلة الحسين عليه السلام من تحريفٍ وتشويه للمنهج؛ رجاء إبعاد الأمّة الإسلاميّة عن مسارها العقلانيّ الصحيح الذي يقاضي الظالم وفق كتاب الله تعالى وسنّة

(1) المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج25، ص260.
(2) م.ن.، ص.ن.

رسوله الأعظم صلى الله عليه وآله، وهذا المنهج هو منهج الحسين عليه السلام الذي طالما بيّنه عبر قوله لأعدائه: «إنّ بيني وبينكم كتاب الله وسنّة جدّي رسول الله»[1].

وهكذا، فإنّ تجاوز كلّ الحدود، والتراشق بالاتّهامات من قَبْل قراءة الآخَر ووعيه ومعرفة مراده، سيجعل قراءتنا للإمام الحسين عليه السلام في خطر، فقد جاء عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال لأحد أصحابه: «إذا أخذ الناس يمينًا وشمالًا، فالزم طريقتنا، فإنّه من لزمَنا لزمناه، ومن فارقَنا فارقناه؛ إنّ أدنى ما يخرج الرجل من الإيمان أنْ يقول للحصاة هذه نواة، ثمّ يدين بذلك، ويبرأ ممّن خالفه»[2].

القضيّة إذًا، ليست مبالغة، وليست قائمة على إظهار الآخر بصورة المخالف، وإنّما قضيّة التزام بمبدأ وإيمان ندعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، ونلتقي عليه مهما اختلفت أسماء المذاهب التي ننتمي إليها، ولقد جسّد الإمام الحسين عليه السلام هذه القراءة عمليًّا عندما كان يصلّي بأصحابه وبمن أعدّوا أيديهم لتتلطّخ بدمه الطاهر؛ مقابل حفنة من الدريهمات النجسة!

سابعًا: قراءة الإمام الحسين عليه السلام تبدأ بالتغيير الصحيح:

إنّ المدارس الإسلاميّة ذات الفكر المنفتح على الله -تعالى- ورسوله صلى الله عليه وآله وكتابه، لا تختلف في قراءة الحسين عليه السلام، وهي تؤمن بعظمته ونضاله وصحّة كلّ عمل قام به.

وما نراه على أرض الواقع من فكر وسلوك مخالف لذلك، يرجع إلى تخاذلنا عن نصرة أهل الحقّ في كلّ موقع من المواقع، بتركنا الفكر المنحرف يعيث في الأرض فسادًا على كلّ صعيد، وإعطائنا المبرّر لبعضنا بعصبيّتنا وعدم القدرة على قراءة بعضنا للبعض الآخر، فإنْ قرأناه قرأناه

(1) سبط ابن الجوزي، يوسف: تذكرة الخواص من الأمّة بذكر خصائص الأئمّة، بيروت، المجمع العالمي لأهل البيت،ص252.

(2) عطاردي، مسند الإمام الرضا عليه السلام، م.س.، ج1، ص445.

بحذر وخوف وامتعاض، ثمّ أعطينا أحكامًا عمّمناها على هذا الآخر الذي يعيش كثير من مفكّريه، الذين يخافون الله والدار الآخرة، في كلّ لحظة البراءة من كلّ ظلم تعرَّض له الحسين عليه السلام، والبراءة من كلّ تشويه يطعن الحسين عليه السلام ويغيّبه، وكذا البراءة من كلّ متاجر جعل من قضيّة الحسين حصّالة لجمع الأموال!

عندما نتعصّب نبدي المسرّة في وجه الآخر، وفي غيبته نبدي الاشمئزاز والتذمّر؛ فنحن من دعمنا البعيد عن فكرنا لقربه من سياستنا، لكنّنا لم نبحث عن الفكر التوأم الذي لا يختلف عنّا -اللهمّ بغير الاسم-؛لنعرف متطلّباته، وليكون هو صاحب الريادة والقرار في المجتمع الإسلاميّ، فتعمّ المحبّة والوئام إلى أنْ تصبح المذاهب الإسلامية تراثًا يجمعنا ولا يفرّقنا...

نحن الذين إذا أردنا التعرّف إلى أمر من أمور الدنيا بذلنا الغالي والنفيس، وإذا أردنا أن نتعرّف على الحقيقة، وأنْ نغيّر الواقع الذي زُوِّرَت فيه الحقيقة، فلا نملك إلا أنْ نسبّ ونلعنْ؛ لكي نتهرّب من مسؤوليّاتنا تجاه القضيّة التي نحملها ونؤمن بها!

ولعلّ أبرز طريقة يمكن أنْ تعمّق المعرفة اليوم تكمن في جملة من الأمور المنهجيّة؛ وهي:

1. التعليم المنهجيّ والفكريّ والدعويّ الذي يخرّج عقلاء يدرّسون الفكر والفكر المخالف، ويحملون رسالة الحسين عليه السلام ودعوته وانفتاحه ومحبّته إلى الخلق كلّهم.
2. إسناد المنابر الحسينيّة إلى هؤلاء العقلاء الذي يغلِّبون الدعوة والحكمة على ما سواها، ويربأون بأنفسهم أنْ يسقطوا في مستنقعات الاختلاف والتفرقة.
3. توحيد الخطاب الحسينيّ في المجالس كلّها، واتّباع الطريقة الحسينيّة في دعوتها المخالفين والمنحرفين عن سبيل الله وطريقه القويم؛ بمنتهى المحبّة والتقدير والاحترام.

4. دعوة الناس كلّهم إلى التفاعل مع القضيّة الحسينيّة وخطابها، وإشراكهم في منابرها، وتفعيل هذه المنابر في المناسبات كلّها، والتأسيس لبرامج دائمة تحيي ذِكْر الحسين عليه السلام وقضيّته الإنسانيّة المُحقّة.
5. إقصاء المغالين الذين يشوّهون الصورة الحسينيّة وقضاياها؛ وذلك عبر متاجرتهم بهذه القضيّة المُحقّة بطريقة باتت مكشوفة للقاصي والداني.

ثامنًا: جوهر الإصلاح في القراءة الحسينيّة:

إنّنا في هذه المرحلة العصيبة التي تمرّ بها أمّة الإسلام؛ متى قرأنا الإمام الحسين عليه السلام قراءة عقلانيّة واعية تتجاوز المذهب والموروث، وقراءة نبويّة قرآنيّة؛ وصلنا جميعًا إلى نتيجة واحدة، ونقطة ارتكاز واحدة؛ وهي مراد الحسين عليه السلام من الخروج: «**إنّما خرجت من أجل الإصلاح في أمّة جدّي رسول الله ...**»[1]، وبالتالي فقد عرفنا المراد تطبيقًا ووعيًا وانفتاحًا والتزامًا وجهادًا وتحدّيًا للمستكبرين، مهما كانت إمكاناتنا ضعيفة؛ فعلى الرغم من الإمكانات الضعيفة وشبه المنعدمة التي كانت لدى الحسين عليه السلام على مستوى عديد الأنصار والإمكانات العسكريّة، فقد كانت القوّة الإيمانيّة اليقينيّة الروحيّة التي يتمتّع بها تغذّي عزيمته العظيمة التي حوّلت استشهاده وسقوطه صريعًا على أرض كربلاء حياةً للأمّة كلّ الأمّة، وللإنسان كلّ الإنسان...

إنّ جوهر الإصلاح يكمن في القراءة الحسينيّة الواعية، مهما كان الانتماء؛ فبالقراءة الواعية نعرف أبعاد الخطاب المحمّديّ الذي أرشد إلى قراءة الحسين عليه السلام، كما نتعرّف إلى حقيقة الخطاب الإلهيّ الذي أمرنا بالمودّة القائمة على الاتّباع، والاتّباع القائم على أعمدة: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]، و «**إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**»[3]؛ و «**حسين منّي وأنا**

(1) مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام: موسوعة أصحاب الفقهاء، (القرن الهجري الأوّل)، ج11، ص7.
(2) سورة القلم، الآية 4.
(3) البزار، أبو بكر أحمد: مسند البزار (البحر الزخّار)، ط1، المدينة المنوّرة، مكتبة العلوم والحكم، 2009م، ج15،ص364.

من حسين»[1]؛ فعن زينب بنت أبي رافع عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ **«أنّها أتت أباها بالحسن والحسين في شكواه التي مات فيها، فقالت: تورثهما يا رسول الله شيئًا؟ فقال: أمّا الحسن؛ فله هيبتي وسؤددي، وأمّا الحسين؛ فله جرأتي وجودي»**[2].

هكذا هي القراءة الحسينيّة، قراءة للسؤدد النبويّ والرساليّ، وقراءة للهيبة المحمّدية، وللجرأة الأحمديّة التي كانت القوّة الضاربة التي عملت على تحقيق العدالة الاجتماعيّة، وتهديم صروح الاستكبار العربيّ القائم على الاعتداد بقواعد الحياة الجاهليّة التي تتغنّى بالقوّة والاستعباد والقتل والانتصار على الضعيف.

خاتمة:

لو توقّف العقل قليلًا في القراءة الحسينيّة؛ لأدرك أنّ الحسين عليه السلام مِنَّة ونعمة من نعم الله -تعالى- على الإنسان عمومًا، وعلى أمّة الإسلام خصوصًا؛ ولذلك كان تخصيص الحسين عليه السلام بنصيب وافر من الإشارات التي تدعم موقفه الرساليّ، وخطّه المحمّدي؛ لما سيلاقيه من حروب ضروس تهدف إلى التشفّي من انتمائه وموقعه الذي ينوب فيه عن جدّه النبي القدوة.

ولئن أراد الدارسون المعرفة الحقّة بالإمام الحسين عليه السلام، فما عليهم إلا أنْ يتركوا مخلّفاتهم المذهبيّة التي حجَّمت النصوص؛ لتتناسب ومنطق المذهب، ولتنسجم وفلسفةَ أصوله وقواعده البشريّة؛ وبهذه الطريقة البسيطة المبسّطة ستتلاقى المعارف والمذاهب الإسلاميّة التي تستمدّ مناهجها من كتاب الله تعالى، وستكون علوم هذه المذاهب صلة وصل بالمنهج الحسينيّ، لا سبل قطيعة وجفاء؛ لكنّ ذلك يتطلّب ممّن عرف أو

(1) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، م.س.، ج3، ص194.
(2) المتقي الهندي، علاء الدين: كنز العمّال، ط5، بيروت، مؤسّسة الرسالة، 1981 م، ج13، ح37709، ص670.

تعرّف على المنهج الحسينيّ أن يحمل الرسالة الحسينيّة التي تعاملت مع الأعداء بمنتهى اللطف والمحبّة، لا عن جبن ولا عن خوف، ولكنْ غيرة على النفوس من أنْ تتفلّت منه، فلا تدرك الإيمان ولا تعرف الإسلام، وغيرة على حرمات الدين التي حثّ القرآن على مودّتها اقتداء فاعلًا في كلّ شأن من الشؤون، والتي كان أهل البيت النبويّ أعظمها عند الله -تعالى- ورسوله ﷺ.

إنّ الحسين عليه السلام رائد للإصلاح والمصلحين، وطريقته هي الفاعلة؛ لأنّها أشبعت التاريخ والزمان بصور البطولة الممزوجة بالرحمة حتّى آخر رمق من حياته الشريفة. والإصلاح الذي كان الحسين عليه السلام رائده لم يكنْ إصلاحا استنسابيًّا تقرّره المصالح، وتتحكّم به المكاسب، وإنّما كان إصلاحًا للخلل المتوارث الذي تحكَّم بعقول المسلمين وحوَّلها عن قبلة الوحي المنزل والرسالة العظيمة والنبي القدوة؛ ولذا فإنّ كلّ قراءة للحسين عليه السلام ستوحي إلينا بمعنًى من معاني الإصلاح الذي يجب أن نكون روّاده من موقع الدعوة إلى الحسين عليه السلام لا إلى المذهب، ولا سيّما ونحن نرى الأمّة تعيش حالة من الهستيريا القبليّة، والعصبيّات الجهنّميّة، والمذهبيّات والعنصريّات الضاغطة التي تحول دون سماع أيّ صوت لم يتحلَّ بالحكمة والوعي والشجاعة التي تمكّنه من عرض القراءة الحسينيّة؛ ليتعرّف الناس إلى فكر صاحبها ومكانته وموقعه، فيؤمنوا به إيمانهم برسول الله ﷺ الذي عظّمه وأرشد إلى الاقتداء به، بعيدًا عن الانتصار للمذهب واسمه.

وإذا كانت المكانة الحسينيّة عظيمة لانتسابها إلى شجرة النبوّة الطاهرة، ولإخبار الله -تعالى- عنها وتقديمها على سائر ما عداها، فإنّ القراءة للحسين عليه السلام -التي عبّرنا عنها بالقراءة الحسينيّة- قراءة لامتناهية، والمجامع لو كتبت في حقّها؛ فإنّها لنْ تعدو أنْ تكون حروفًا بالمقارنة مع حقيقتها ومكانتها وقدسيّتها التي اختلف حولها المسلمون بدل أن يجتمعوا، وتنابزوا بدل أن يتوافقوا، وتصارعوا بدل أن يتواءموا، وتقاتلوا

بدل أن يتوحّدوا ويتحابّوا... وهذا إنْ أوحى إلينا بأمر؛ فإنّما يوحي بحجم المسؤوليّة الجسيمة التي تقع على عاتقنا، والتي يجب أنْ نكون على قدرها، في الوقت الذي نرى فيه السياسات المجرمة في العالم تبذل كلّ جهودها ومقدّراتها لتفصل بيننا وبين الإشراقات الحسينيّة، فنتنكّر لها وننساها، ونتنصَّل منها، ونهدر مقوّماتها الجامعة والكفيلة بجعلنا روّاد الإنسانيّة والتقدّم في العالم.